

دلائل الإعجاز

معجزة كلِّ نبيٍّ فيما كان أـغلبَ على الذين بُعثَ فيهم وفيما كانوا يتباهـونَ به وكانت عوامٌ هـم تعظـم به خواصـهم . قالوا : إنه لمـّا كان السحرُ الغالبَ على قومِ فرعونَ ولم يكنْ قد استحكم في زمانٍ استحكمـه في زمانه جعل تعالى مُعجزةَ موسى عليه السلام في إبطالـه وتـوهينـه . ولمـّا كان الغالبَ على زمانِ عيسى عليه السلام الطبُّ جعل الله تعالى مُعجزةَـه في إبراء الأكمـه والأبرص وإحياء الموتى . ولما انتهوا إلى ذكرِ نبيِّنا محمـدٍ وذكرِ ما كان الغالبَ على زمانه لم يذكروا إلا البلاغةَ والبيانَ والتـصريفَ في ضروب النظم .

وقد ذكرتُ في الذي تقدمَ عينَ ما ذكرتهُ هاهنا مما يدلُّ على سقوطِ هذا القول . وما دعاني إلى إعادة ذكره إلا أنه ليس تهالكُ الناسِ في حديث اللفظ والمحاماةُ على الاعتقاد الذي اعتقدوه فيه وضـنُّ أنفسهم به إلى حدٍّ . فأحببتُ لذلك أن لا أدع شيئاً ممّا يجوزُ أن يتعلّقَ به متعلّقٌ ويلجأَ إليه لاجءٌ ويقعَ منه في زَفْسٍ سامعٍ شكٌّ إلا استقصيتُ في الكـشْفِ عن بطلانه .

وهاهنا أمرٌ عجيبٌ وهو أنـه معلومٌ لكلِّ من نظر أن الألفاظ من حـيْثُ هي ألفاظٌ وكـلـمٌ ونطقٌ لسانٍ لا تختصُّ بواحدٍ دونَ آخر وأنها إنما تختصُّ إذا تُؤخـرُ فيـها النظمُ . وإذا كان كذلك كان مـنْ رفع النظمِ منَ البين وجـعلَ الإعجازَ بجُمْلته في سهولةِ الحروفِ وجـريانها جاعلاً له فيما لا يصحُّ إضافتهُ إلى الله تعالى وكـفـى بهذا دليلاً على عـدمِ التوفيقِ وشـدّةِ الضلالِ عن الطريق .

فصل فيه إجمال وعظة .

قد بلغنا في مداواة الناسِ مـنْ دائهم وعلاجِ الفسادِ الذي عرَضَ في آرائهم كلِّ مـبلـغٍ وانتهينا إلى كلِّ غاية وأخذنا بهم عـنِ المجاهلِ التي كانوا يتعسّفون فيها إلى السـنـنِ اللّاـحِبِ ونقلناهم عـنِ الآجنِ المطروقِ إلى النـمـيرِ الذي يـشـفي غليلَ الشاربِ . ولم